قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم : أحمد بهجت

ريشة : مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم : أحمد بهجت

ريشة : مصطفى حسين

دار الشروق

تباعدَ اليهودُ عن تَعاليم التَّوراةِ التي نَزلتْ على موسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأوامِرِه ، عندئذٍ وقعَ لهم ما يقعُ لكلِّ أُمةٍ تهجرُ كِتابَها أو تُضيعُ أوامرَ نَبيِّها المُرسلِ . .

تَدهورتْ أحوالُ بني إسرائيلَ عندئذٍ . . وهُزِموا من أعدائِهم . . وآستولى الأعداءُ على تابوتِ العهدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشرَّدوا في الأرضِ ، وطُرِدوا من دِيارهِم ، وساءَتْ أحوالُهُم ، وشاعَ الذُّلُ بينهم ، وحكَمَهُم الضّعفُ ، ثم شاءَ الله تباركَ وتعالىٰ أن يَرحمَهُم فأرسلَ إليهم نَبيّاً . . وبدأ هذا النبيُّ يَدعو قَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسرائيلَ إلى هذا النبيِّ وقالوا له : أَليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قالوا له : ألسنا مُشرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : ألسنا مَظلومينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : لماذا لا تَسألُ أن يبعثَ لنا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتهِ كي نُقاتلَ في سَبيلِ الله ونَستعيدَ حقَّنا ونُصلحَ ما فَسدَ من أَحوالِنا ؟

قال نَبيُّهم :أخافُ إن دعوتُ الله أن يَبعثَ لكُم مِلكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ :ولماذا لا نُقاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعوا لو حدثَ ما تَطلُبونَه ؟



قـالـوا : أبـداً لن نَتـراجـعَ . .

قال نبيُّهم : سوف أسـأَلُ الله تعالىٰ أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَته .

آنصـرفَ القـومُ ودَعـا النبيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .

في نفسِ الـوقتِ . . خرجَ طـالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالـوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكـان قلبُه يَنـطوي على الخيرِ ، وكان معه أَحدُ فِتيانِه ، فآنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ معَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .

ثم آنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فنـظرَ حولَه فلم يـرَ الغنمَ ولَا رأى الحميرَ . . قال لِغُلامِه: لقد آستَغرقَنا الحديثُ فَسارتِ الأغنامُ في الصحراءِ.. تعالَ نبحثُ عنها . .

آنـطلقَ طالـوتُ في الصحراءِ بحثـاً عن قَطيعهِ ، فسارَ مَسافةً طَويلةً ، حتى إذا أَجهَـدهُ التعبُ وآنحـدرتِ الشمسُ نحـو المَغيبِ ولـم يجدْ غنمَـه ويَئِسَ من العُثورِ عليها ، قرر أن يذهبَ إلى النبيِّ ليسألَه أين ضاعتْ . .

عـاد طـالــوتُ من الصحـراءِ وشقَّ طـريقَهُ إلى بيتِ نبِيِّهم ودخـلَ عليه . .



قـال طالوتُ :أيها النبيُّ الكريمُ . . خـرجتُ أرعىٰ الأغنـامَ والحـميـرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أَعرفْ أين ذهبتْ ، وقد جئتُ أَسأَلُك عنها . .

سأَلَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أَغنامِكَ وحَميرِكَ ؟

قال طالوتُ : نعم . .

قـال النبيُّ : لا تُشغلْ بـالَك بهـا ، فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ وآستمعْ إليَّ . . لقـد سـأَلني المَـلأُ من بني إسـرائيـلَ أن أَدعـو الله أن يختـارَ لهم ملكـاً يُقـاتِلونَ

تحت رايتِه في سبيلِ الله ، وقد دعوتُ الله فآختارك ملِكاً على بني إسرائيلَ . . وعليكَ أن تُعِدَّ نفسكَ للقِتال .

سألَ طالوتُ : الله هو الذي آختارَني ؟

قال : نعم . .

قالَ طالوتُ وهو يَحسُّ بالسّعادةِ والرّهبةِ : أنا رهنُ إشارتِكَ . .

قال النبيُّ : غداً نُقابلُ رؤَساء بني إسرائيلَ .

جاءَ الغدُ ، فآجتمَع رُؤساءُ بني إسرائيلَ وآجتمَع معهم طالوتُ . .

وقال لهُم نبيُّهُم : إن الله قد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً . .

وَبرزتْ عواملُ العِنادِ في نُفوسِ بني إسرائيلَ فقالوا : كيفَ يكونُ لهُ المُلكُ ونحن أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سألَهم نبيُّهُم : لماذا تَتَصوَّرونَ أنكُم أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟



قال الرؤَساءُ : نحن أَغنىٰ كثيراً منه . . أنظرْ إليه . . إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاة الفقيرةِ . .

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ الشُّعوبِ بالغِنى أو الفَقر ، العِبرةُ بالقُدرة على قِيادةِ الشُّعوب ، إن طالوتَ هو آختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد آختارَه الله تعالىٰ لِعلمِه وقُدرَتِه .

عادَ رؤَساءُ بني إسرائيلَ يَقولونَ : نحن نُصدِّقُك أَيها النبيُّ ، ولكن كيفَ نَنسى أننا نحن شُرفاءُ هذه الأمَّة وسادتُها ؟ فكيف تَجاهَلنا الله وآختارَه هو ؟

قالَ النبيُّ : ليس لِمثلي أَن يسألَ الله لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألونَ وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ . . وهذا هو

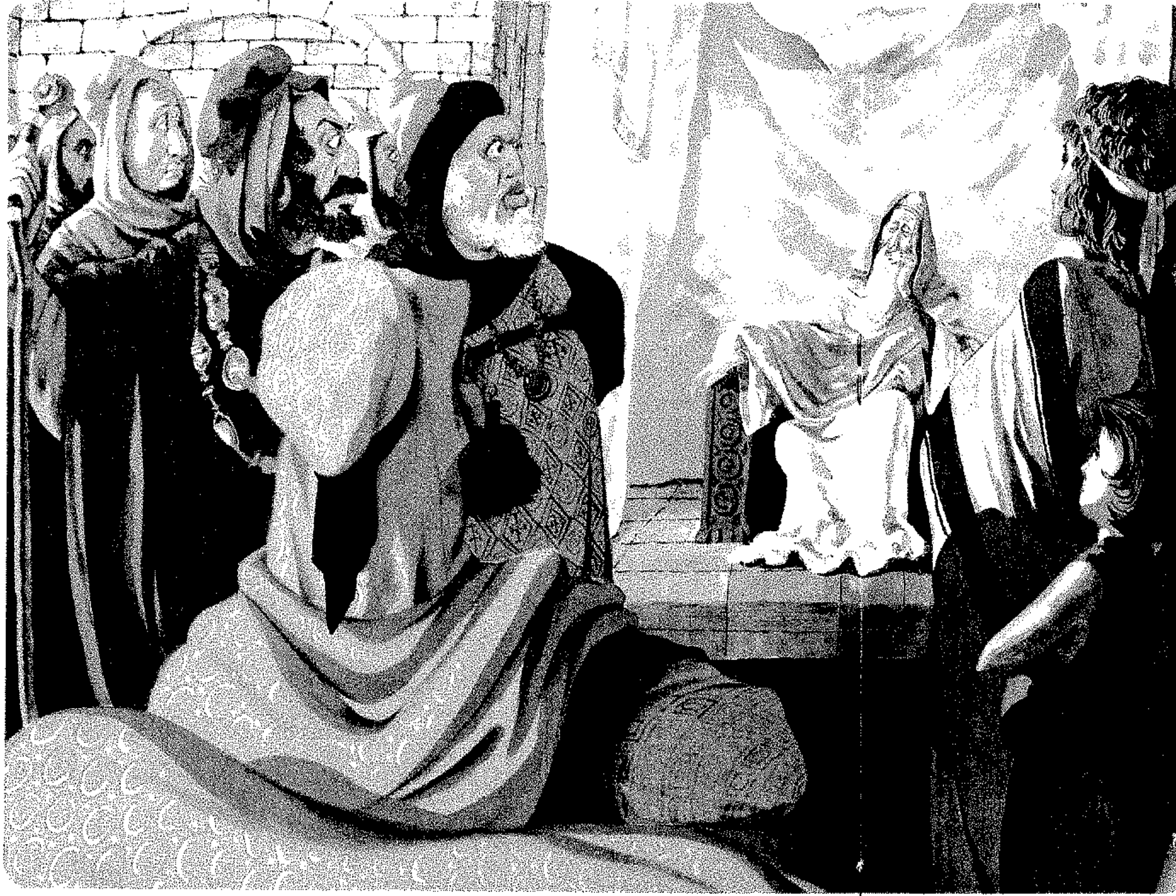
آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : أنتَ تسدُّ علينا بابَ الحِوارِ أيّها النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينا . . إن طالوتَ فقيرٌ . . ومن الرُّعاةِ . . ليس من عائِلةٍ كبيرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكم ولا في السِّياسةِ . . أليس من حقّنا أن نسألَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قال النبيُّ : عِلمُه هو الذي فضَّلَه عليكُم . . لقد آتاهُ الله بَسطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينا من هو أقوى منه جَسداً وأكثَر منه عِلماً . .

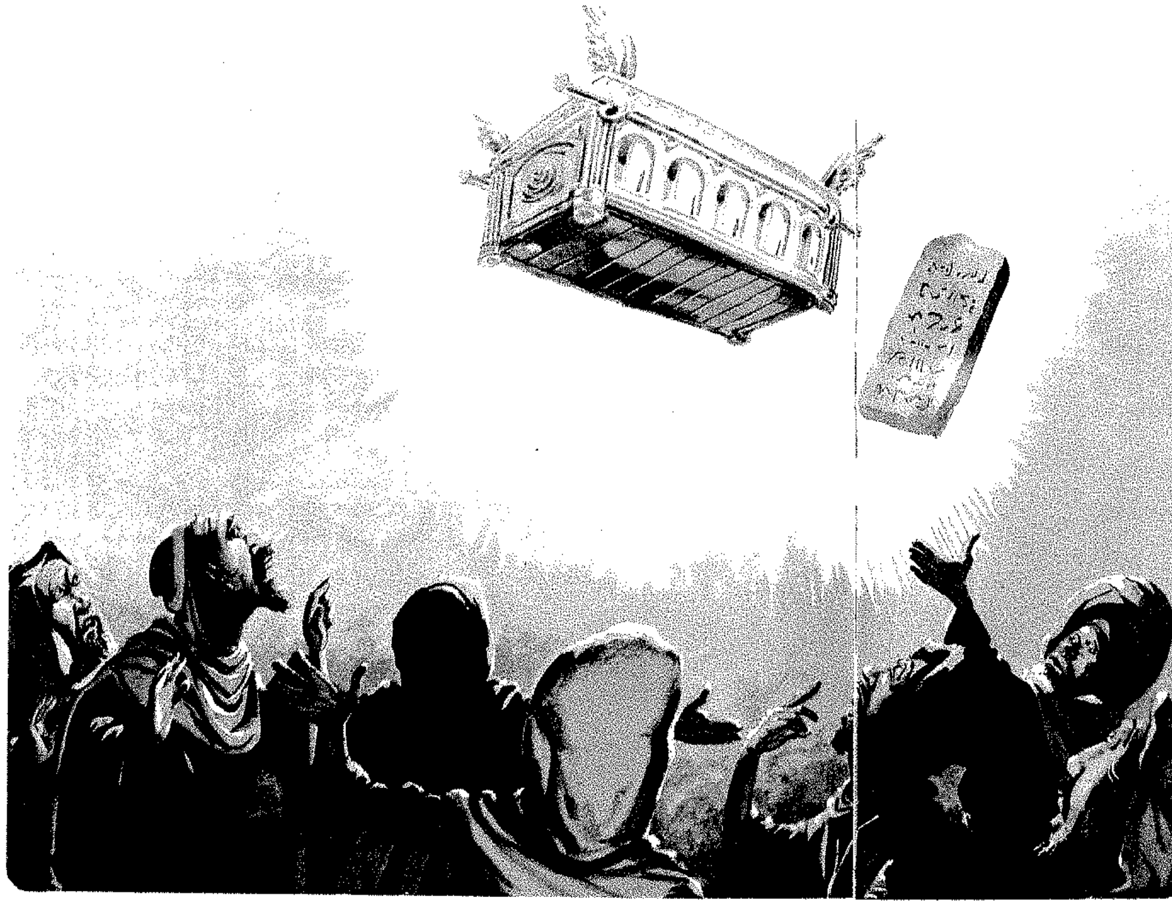
قال النبيُّ : أيُّها السَّادة . . لقد أَفهمتُكُم أكثَر من مرةٍ أن العِبرةَ في الحُكم بِقُدرةِ الحاكِم على قِيادةِ الشعبِ ، ولقد حدَّثتكُم أن آختيارَه للمُلكِ جاءَ من الله . . وليس لي أن أسألَ الله لماذا آختارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيَبتَليه . . من يَدري ؟ إن أَحداً لا يعرفُ أَسرارَ الله وحِكمتَه في خَلقِه .



قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأكَّدُ أَن الله هو الذي آختارَه لنا ؟ نُريدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبدِ غداً فسوف تَقعُ المُعجزةُ ويأْتيكُم تابوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيلَ في اليومِ التّالي آنتِظاراً لِوُقوعِ المُعجِزةِ . . كان تابوتُ العهدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلواحِ التوراةِ التي أُنزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثارٍ تَركَها موسىٰ وهارُون . . وكان هذا التابوتُ



قد سُلِبَ منهم وٱستولى عليه عَدُوُّهم . .

وقفَ الناسُ يَنتظِرونَ وُقوعَ المُعجِزَةِ . . وفي الوقتِ الذي حدَّدهُ نبيُّهم فُوجِئوا أن التابوتَ يَعودُ إلى مكانِهِ في المَعبدِ ، حَملتهُ الملائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ الناسِ وٱنبهارِهم . . لم يَروا المَلائكةَ ولكنَّهم رأوا تابوتَ العَهدِ يَسبحُ ببطءٍ وجَلالٍ إلى مكانِهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ الناسُ بالسَّكينةِ وٱطمأنّوا لاختيارِ طالوتَ ملِكاً عليهم . .

وهكذا أَصبحَ طالوتُ مِلِكاً على قَومِه . .

قَدَّم الناسُ له فروضَ الطّاعةِ في حفلٍ كبيرٍ وٱنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالوتُ أن يَبدأ تكوينَ جيشٍ قويٍّ يتَدربُ على القِتالِ . .

أرسلَ طالوتُ في كلِّ قُرى بني إسرائيلَ يدعو الشبابَ القادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحربِ . . ٱنضمَّ إلى الجَيشِ جَمعٌ كثيرٌ من الشبابِ والرجالِ . . وبدأتْ مصانعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبدأ التدريبُ على ٱستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أن الحربَ تَعني تَوظيفُ كلّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِه لِهدفٍ واحدٍ . . هو النصرُ العسكريُّ . .
وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كثيرةً وٱستِعداداتٍ ضخمةً .

إن الحربَ هي السِّلاحُ والإنسانُ الذي يَستخدِمُه . لا بدَّ من توفيرِ السِّلاحِ إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قومِهِ



لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يراقبُ بنفسِه حظَّ الأسلِحةِ من القُوةِ والصَّلابةِ ، وكان يَمتحِنُها بنفسِه ويُشرفُ على التَّدريب شَخصِيّاً .

وآستمرَّ صُنعُ السلاَح والتَّدريبِ فَترةً طَويلةً ، حتى آطمأَنَّ طالوتُ لِسلاح قومِه . .

كان عدوُّهُم هو جالوتَ ، وكان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزِمْهُ أَحدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنودِه ولا مثيلَ لأسلحَتِه في القُوةِ . . وكانَ جالوتُ يُشبِهُ إعصاراً مُدمِّراً لا يُقاومُه أَحٌد .

كان طالوتُ حَكيماً فأَدركَ أن جَوهَر النَّصرِ لا يَكمُن في قُوةِ السلاحِ بِقدرِ ما يَخضَعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أَن الغَلَبةَ ليستْ بأَعدادِ الجُنودِ إنما بِصلابةِ العَزيمة . . وهكذا آطمأنَّ طالوتُ لِقُوةِ الجيشِ ، ولكنّه لم يكُن قد آطمأنّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّةِ عند الجُنودِ والقادةِ . .

ولهذا قرّرَ أن يَمتحنَ هذا الجيشَ قبلَ أَن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمة مع عدوِّهِم جالوت . .

وأَمر طالوتُ جيشَه أن يسيرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيّاماً وليالِيَ وسطَ هذه الصحراءِ حتى بلغَ العطشُ بالرجالِ كلّ مَبلغٍ . .

وآنتهى كلُّ الماءِ الذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلةِ في الصحراءِ قد آقتربَت ، وكان طالوتُ يعرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤُه شديدُ العُذوبةِ ، وقرَّر طالوتُ أن يكونَ هذا النهرُ هو أولَ

آمتحانٍ عَمليّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُندِ والألوِيَــة وقـال لهُم : نَقتربُ الآن من نهـرٍ سوفَ يَعبُرهُ الجيشُ . . لا تَشربـوا مِن هـذا النهرِ . . بلِّلوا شِفاهَكُم وأيديَكم بالماءِ فقط . .

قـال قـادةُ الجُنـدِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

قـال طالـوتُ : من يشربُ من هـذا النهـرِ فليسَ منِّي . . إلا من آغتـرفَ غـرفـةً بيـدهِ . . ومن يشـربُ من النهـرِ فَلينسحِـبْ من الـجيشِ . . آعـلمُـوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أَوامِري للجُنودِ وتَهيّـأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقـلَ القادةُ والضُّبـاطُ أوامرَ طـالوتَ للجُنودِ ، وبدأ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كـانَ الامتحانُ قـاسِياً . . فـالـدُّنيا شَـديـدةُ الحَـرارةِ ، والمـاءُ عـذبٌ وباردٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .



آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أوامـرَه وشربَ من النهرِ . .

كـان الجيشُ كبيـراً قَبـلَ أن يعبُـرَ النهرَ ، ولكنّه بعـدَ عُبورِ النهـرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تَماماً . .

آنـكـمَش الـجـيشُ إلـى أقـلّ مـن النِّصفِ . .

قـالَ قادةُ الجيشِ لِطالـوت : لقـد آنكمشَ عَددُنا كثيـراً . . فكيف نُقاتـلُ جيشَ جالوتَ الهائلَ بهذا العددِ القليلِ ؟

قـالَ طـالـوتُ : ليست العبرةُ في

القِتالِ بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادَتُهم .

قالَ القادةُ : لقد خرجَ مُعظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليلِ .

قالَ طالوتُ : بل بقيَ الكثيرُ . . لقد خرجَ غيرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصونَ الصَّابرونَ . . والصبرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وآنخَرط الجيشُ في حوارٍ حولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قالَ أحدُ الجُنودِ : لو أن طالوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددَنا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

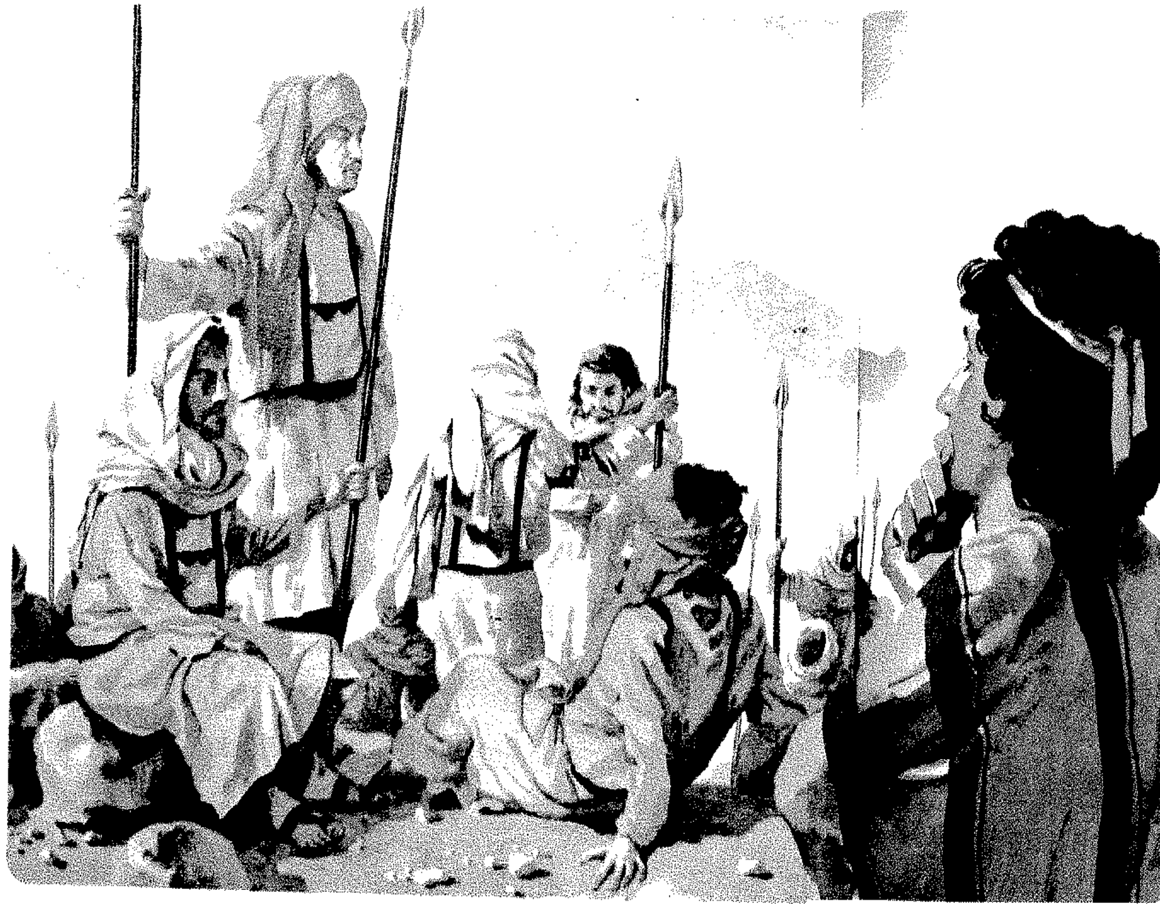
قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تساءَلَ الجُنديُ : ما الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟

قالَ الضابطُ : شيءٌ ليس هو السلاحُ ، وإن كانَ السلاحُ مُهماً ، وشيءٌ ليس ظاهِراً وإنما هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّونَه الرُّوح . . . أو إصرارُ الروحِ على الكسبِ . إن الجُنديَّ الذي لا يَستطيعُ الصَّبرَ على العطشِ لا يستطيعُ الصبرَ على حرارةِ المعركةِ وعَطشِها . . والجُندي الذي لا يتبعُ أوامرَ قائِدهِ يُمكنُ أن يُؤدِّي لإرباكِ الجيشِ كُلهِ في المعركةِ .

لقدَ خرجَ من الجيشِ ضعافُ الروحِ . . وبَقيَ الأقوياءُ . . وغداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت . .

وشاعَ الإيمانُ العميقُ في الجيشِ وقالَ المُؤمنونَ : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ .



بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم
بالظالمين ۞ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۞ وقال لهم نبيهم إن
آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل
موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم
مؤمنين ۞ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله
مع الصابرين

صدق الله العظيم